

للمغفور له محمد علي باشا فان المكتبتين لتعجيد، ما رأوا افضل من انشاء
دار للمجانين بالمال الذي جمعوه دون ان ينظروا ادنى نظر الى انشاء مدرسة
او مستشفى للمرضى وذلك لانهم وجدوا المهم المتدم كما وجدت الحكومة
ان المهم المؤخر فهي لا تفتح المدرسة او تقفل الخمار حتى لا ينتشوا الجنون
بل تترك اسبابه ثم تهتم بعلاجه ولكن المأمول ان تنتبه الحكومة لهذا
الامر الخطير المتوقعة عليه سلامة الامة فتتري لها في الخمر رأيا كما رأت في
الحشيش والا لم يكن عملها تاماً لانه قد ثبت ان تأثير الخمر وتركها رخيصة
شائعة والسماح للخمرات بالمدة الطويلة مما يعد ادهى من الحشيش والدليل
على ذلك ان الحشيش قل كثيراً ولكن الجنون ما قل لان الخمر قامت
مقامه

الرجاء بعد اليأس

- ايه لهذه الكلمة ما احلاها . انني محدثكم اليوم بحكاية صديق لي
كانكم تعرفونه وتحبونه وهو ابراهيم حبيب الذي لعبت به ايدي الاغتراب
اياماً وعبس الدهر في وجهه مدة غربته حتى ظنه غير باسم له طول الحياة
فرطن نفسه على مفارقتها . ثم ما لبثت غمامة اليأس ان انقشعت وبدا من
ورائها شعاع الرجاء وبارق الامل يسمان على شفتي غادة حسناء كأنما الله
قد بعث بها رافة بابرهم واخلأته ...

كان المحدث يوحنا الرقيق المعشر المتحمس لاسيما في الولاء وهو من

اصدقاء ابراهيم الاصفهيا وكنا ثمانية اصحاب حول منضدة في المكس صفت
عليها كؤوس الجمعة صغراء كالشمس الدانية للمغيب . فلما بلغ يوحنا من
حديثه الى ذلك الموقف مد يده الى الكأس فشرب ثم اشعل سيكارة وقال
- رأيت ان يكون الحديث عن لسانه فانه كتب اليّ وانا قارئ عليكم
رسائله . قلنا نعم وذلك اولى . فمد يده الى جيبه فاخرج الرسائل ونشر
الاولى وقرأ :

باريس في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٣

ايها الصديق العزيز . افقت اليوم من النوم وانا في اخر يوم من عام
واول يوم من سنة من سني حياتي العامرة والكل بكل عمل من اعمال
الجهل والخرق . . . اقول ذلك لا تحاملا مني على نفسي واعتداء على ذاتي
بل اعترافاً بالحقيقة التي اشبهها بالنور فهو لا بد له من الظهور بل هي لعمرى
اوضح منه فانها لا تحجب بالا كف ولا تطفأ بالافواه . . . وماذا عليّ اذا
شبت اخرق وكبرت جاهلاً ؟ فالمرء اما ان يكون مسخراً في هذه الحياة
لما هو مقدور له وحينئذ فان الله او بوذا او الطبيعة على رأي هذا وذاك
وهؤلاء هو الذي صنعني وقدر لي ان اعيش كما عشت واكون كما اناولست
بعد ذلك ملوماً . واما ان لا يكون لعله الوجود دخل في الامر وحينئذ
يكون الذنب لا بوي . ويصح قول ابي العلاء

هذا جناه ابي عليّ وما جنيت على احد

نعم انني لم اجن بعد على احد فاني لم اتزوج ولم ارزق البنين والبنات
ومع ذلك فاني شاعر بانني قد جنيت على نفسي من حيث لم اجن على
احد

ولعمري اية لذة في الحياة بل اية حياة لرجل يفتح عينيه لنور الصباح
في يوم يذكر فيه يوم ميلاده يوم يخرج من السابعة ليدخل الثامنة بعد
الثلاثين من عمر ينشد لاجله مع المتني احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا ذلا
يبسم في وجهه الا الجدار الغريب - اذا كان الجدار يبسم لوحيد في بلاد
غربة في مثل هذه المدينة اني انا فيها والتي سمحت لنفسي ان تسميها
مدينة العلم والحرية والنور وبابل الخلاعة والهو والفجور ...

لا . ان الجدار لا يبسم في بلد لغريب . لذلك لم افتح اليوم عيني الا
على الفكر العابس بانني طريد الدهر في بلاد الغربة والبعء حيث لا اب ولا
ابن ولا اخ ولا صديق ويا لشقوة الرجل في صباح عيد اذا لم تقع عينه
على مثلهم ورحم الله من قال اخاك اخاك ...

حزينة هي اليوم نفسي وقد حاولت ان افرحها بطاقة من البنسج
احتملها الي صديق الماني - وهو صديق لي بقدر ما يستطيع الماني قاطن في
باريس ان يكون صديقاً لعربي جمعته به الاسرار - ثم حاولت ان
اذهب الغم عنها بكأس من الراح ثم بسماع الحان تطرب بها جارة لي ولكن
أصخرة انا ما لي لا تحركني هذي المدام ولا تلك الاغاريد

تالله صخرة لم اكن وانت تعرفني بل هكذا الراح ان دارت على
شجن . لا بل صخرة قد صيرتني الايام وتقلبات الدهر وعبر الزمان حتى
صرت احسب مقامي في هذه الدنيا كمقام المسيح بين اليهود . اذن فما
بالك يا ابن يوسف تحدث وتبسم وانت عصي الدمع شيمتك الصبر . اما
لغدرات الايام نهي عليك ولا امر ... بلي وعلم الله ان سيوف الاحزان

تقطع احشائي ولكن مثلي لا يذاع له سر . حتى اذا الليل اضواني بدوت
كما انا واذلت دمعاً من خلاثة الكبر . . .

آه تعب كلها الحياة فما اعجب الا لرغب في ازدياد . بل كفى المرء داء
ان يرى الموت شافياً . . . ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى الحياة عدوة له
وما من صداقتها بد . . .

أجل . لا بد من الحياة . . . هناك في ما وراء البحر تحت سماء مصر
آه يا ارض مصر تحية وسلام

وما حب الديار يهيج شوقي ولكن حب من سكن الديارا
هناك في تلك البقعة المباركة الصافية السماء العذبة الماء العذبة الهواء
اخوة واشقاء وانسباء واصدقاء يحبونني واحبهم ويدكرونني واذكرهم
ويحنون اليّ واحن الى انائهم . . .

جاء في الامثال اذا لم يكن ماتريد فاردما يكون . فاذا لم تجد سبيلا الى
الراحة الدائمة فاقرع باب الراحة الموقته واعتنق النوم ان ضجعة النوم ضجعة
يستريح الجسم فيها ويسكن القلب والشعور

وعليك يا يوحنا ايها الصديق العزيز وسائر الاهل والرفقاء سلام الله
معتقاً رضا
ابراهيم الخليل



وطوى يوحنا الكتاب فاعاده الى جيبه ثم نشر رسالة ثانية وتلا :

باريس في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٣

يا صديق اذا ذكرته في هذه الساعة فانما اذكر كل صديق لي . -

اقبلك يا يوحنا مقبلاً بك الاحباء والرفاق والاصدقاء الذين سوف يضمون

الى اسفك حزنهم ويمزجوت بدموعك بكاءهم - لانني اعرف فؤادك
وقلوبهم - اقبلكم قبلة الوداع الذي ليس بعده لقاء ولا اجتماع ولا في ظلمة
اللحد اذ ليس لابرهمكم ضريح

اني مستغفرك يا اخي عما انا مسببه لك من التأثر والانفعال لدى قراءة
هذه الاسطر التي هي آخر ما يخط قلمي العربي ويحمله مني البريد الاجنبي
لكنتي رأيت من حق الاخاء الذي يربطنا ان اودعك بكلمة اقولها لك
ولكم جميعاً ان آخر انفاسي طائر الى مصر واني مائت ونظري شاخص اليها
واذا بلغك هذا الكتاب صباح اليوم الخامس عشر من هذا
الشهر الذي سوف لا تطلع شمسهُ مني الا على حثة هامة وانفاس خاملة
فقل لقد مات ابرهيم وقد مات مشتاقا الى الخلان

اتذكر ايها الصديق انني كتبت اليك في اليوم الثاني عشر من شهر
تشرين الثاني (نوفمبر) وذكرت لك ما اعتراني من اليأس واخذني من
التفوط واني محاول ان اذهب كل ذلك عني واستمسك باذيال الحياة لان
نفسي ليست لي ولان الحياة واجبة علي ٠٠٠ ولقد جاهدت منذ ذلك الحين
جهاد المستقتل في سبيل الحياة مستمداً من الضعف قوة ومن الجزع صبراً
ومن اليأس رجاء فما كان اسرع ما غابت والقيت السلاح امام الزمان هذا
العدو القوي القاهر ٠٠٠ أجل ٠ لم يكن الفوز لي في ذلك المعترك ولم اخرج
من ذلك الجهاد منتصراً ٠٠٠ ولقد صغرت نفسي على كبرها وضائق بي
الدنيا على وسعها وسئمت الحياة على ما بها من البهجة وفيها من السرور
بوجود رفاق مثلكم كالانجم الزهر اخلاقهم ودمع العذراء في صفائه ولاؤهم
اذن فتى بلغتك هذه الرسالة فابك ابرهيم ان الخليل صائر في الساعة

التي تقرأ فيها هذه الاسطر الى النناء . . . واذا بكيتته مع بعض الاخضاء
فاند بود سرّاً مخافة ان ينخي الخبر الى اهله فيموتوا جزعاً عليه . . . اقول ذلك
لانني معول على اخفاء حثينة نفسي فلا يعرف احد جثة من هذه التي
يتشعلونها من غمرات المياد وينقطع خبري عن اهلي فلا يعرفون ابن انا
لكنهم لا يعرفون اني القيت نفسي في النهر هرباً من الحياة . . . وانت
تعلم ان لي من كل شقيق وشقيقة من يفتديني بنفسه بل بعشرات نفوسه
لو كان للفرد الواحد نفس فيعز علي ان امريضهم حزناً واقتلهم اسي وجزعا
اذا عرفوا سؤ فعلتي بنفسي . . . واني مقر بان ما انا عازم عليه جناية عظمى
لا تغتفر لرجل عركه الدهر وعرف الايام كما عرفتته وامكنني
ضعفت الى الحد الذي لا ضعف بعده واصبح الموت في عيني احلى من
هذه الحياة المرة

على انه اذا قدر الله وبلغ خبري الى اهلي فكن لهم بمثابة الصديق
المعزي وامسح دموعهم الجارية بمنديل التسلية والتجمل . ولا تبعدك
شدة حزنهم عن موالاته زيارتهم لمؤاساتهم فانه لا يبرد حرارة الحزن ولا
يطفىء جمره الا سي مثل نظرة الصديق الذي كان للغائب العزيز صديقاً

والان فقد صعد الدمع من فؤادي الى عيني وقطر من متلي على
وجنتي وبلغ بي الجزع والانفعال مبلغاً لا اقوى معه على المزيد من وداعك
وقد كان من حقل علي ان ابسط لك الاسباب التي من اجلها فضلت النناء
على البقاء والتمسسته على هذه الصورة الشنعاء . اسكنني لا اريد ان احزنك
اكثر مما احزنتك فان الكلام في حياتي ادعى الى الشجن من خبر موتي .
فالوداع يا اخي انني سأموت في صباح الخامس عشر من هذا الشهر ولم

يبقى علي الا ان احتمل وقر الحياة خمسة ايام عدا ما بقي من هذا اليوم...
 وخذ من صديقك وطف بها على كل الاصدقاء الامناء قبله اخيرة اودعها
 هذا الكتاب ليستودعك اياها الى ان نلتقي في عالم الابدية اذا كان في
 الابدية عوالم وعالمك السلام

*
* *

وكان يوحنا يقرأ وصوته يتهدج ويضطرب الى ان اتم تلاوة الرسالة
 ولم يكن فينا الا كل متأثر مكتئب مغرورق العينين بالدمع . وصمتنا ساعة
 انرغنا في خلالها الكؤوس لبل حلوقنا التي جفت لشدة الانفعال . ثم
 اشعل يوحنا لنافاة أخرى وقال :

- لما تصنحت رسالة ابراهيم وكان ذلك في صباح الثلاثاء في منتصف
 الشهر الاخير من العام وتلوتهما وأعدت قراءتها ثانياً وثالثاً جمد الدم لاول
 وهلة في عروقي وحسبت نفسي لا في يقظة بل في منام . ثم عدت الى
 نفسي فتمثلت الحتمية بشناعتها وتذكرت ذلك الصديق العزيز وذكرت
 شبابه الغض وآدابه ورقة اخلاقه وصنائه ولأنه خفقتني العبرات وبكيت
 بكاء مرأً وانا اقول اين جثتك يا ابراهيم فاغسلها بدمعي واحنطها بدمي واين
 ضريحك ايها الخليل فاجثو عنده وانثر عليه الزهر ثم اصبح اليه في كل يوم
 فاذكرك وابكيك وانذب شبابتك وارثيك

وما زالت عبراتي تسيل ساعة وترقأ أخرى الى ان آذن النهار بالانتهاء
 واذا بساع للتغراف يحمل الي رسالة برقية فتناواتها دون ان احفل بها .
 علي انني لو كنت اعرف عند استلامها ما حوته وكانت روعي في يدي

لوهبتها لحاملها الي . ثم فضضت ختامها وتوتها وانا اكاد اجن من الفرح
وهذا معربها

عدت عن اليأس الى الرجاء وعن الموت الى الحياة فقد ارسل الله
في هذه الساعة ملاكا كريما انقذني من الهلاك وشفائي من داء التنوط
والتفصيل بالبريد

*
* *

وكان تلاوة هذين السطرين تد فرجت الكرب عن الصدور
وشفت النفوس من ألم الكآبة والانتقباض فاستل كل منا سيجارة وقرعنا
الطاولة بالاكواب مستدعين خادم القهوة لاملأها
وكان الظلام قد أخذ يرخي على البرية ستاره وقد دنت ساعة الانصراف
فقال يوحنا لنشرب ايها الاصحاب على ذكر ابراهيم ثم ندع تلاوة ما بقي من
حديثه الى ما بعد العشاء فقلنا بل الى الغد في مثل الساعة التي اجتمعنا اليوم
فيها . وتواعدنا على الاجتماع في اليوم التالي وقفنا الى مركبة الكهرياء
قال الراوي لما كان اليوم التالي وقد مضت ساعة الاصيل ومالت
الشمس الى المغيب اقبل كل منا الى الموعد المضروب ونشر يوحنا رسالة
ابراهيم وقرأ :

باريس في ١٥ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٣

اي صديقي واخي وامين سري
ضاققت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

*
* *

اما وجهها فن آل بدر وشعرها اشعة التمر الذهبية وقوامها غصن

البان وعيناها زرقة السماء ونظرتها السحر الحلال وفمها خاتم العقيق وابتسامها
رجاء الدهر وفرح الايام واسمها غراتز بيلا ٠٠ واما فؤادي فمن آل عذره

*
* *

اليوم بلغ اليك كتابي فابكاك ساعة ثم جاءك تلغرافي فكفكت الدمع
السائل من مقتليك واعاد الابتسام الهارب الى شفتيك ٠ وان اليوم ايها
الصديق ليومي العظيم مت في صباحه او كدت - والسائر بقدمه الى الموت
ميت - ثم حييت وبعثت من ظلمة اليأس الى نور الرجاء وجبذا مع الامل
الحياة ٠٠٠

لما اصبحت الصباح نهضت مبكراً فارتديت احسن ملابسي واقصيت
عني كل ما يمكن ان ينم علي واخبرت اصحاب الفندق انني مسافر الى العالم
الثاني - فحسبوا انني ذاهب الى اميركا - ثم خرجت فدخلت اول معبد
مررت امامه فخشوت في خلوة وراجعت حياتي من حين ربيت في القرية
التي هي مسقط راسي الى ان شبيت وهجرت الوطن الاول متخذاً مصر
وطناً فداه كل وطن ٠٠٠ وحييت في تلك الساعة سبعة وثلاثين سنة وشهرا
وثلاثة ايام حبيبها يوماً يوماً وساعة ساعة دون ان يفوتني منها تذكار واحد
وارسلت روحي ترفرف حول منزل اهلي ومقام اصدقائي ورأيتك بالفكر
تقرأ من رسالتي اليك سطرًا وتمسح باطراف البنان دموع ٠٠٠ ثم رفعت
نفسي الى الله وصليت مستغفراً وقت رابض الجاش ثابت القلب لا ياخذني
على عمري ولا على هذه الدنيا اسف ٠

وكان مقامي في المعبد قد طال اكثر مما كنت احسب دون ان
اشعر فخرجت منه والشمس رأت الضحى لو كان للشمس ظهور وسرت في

الطريق المؤدية الى الجسر الذي كنت مریداً ان اقذف بنفسي منه الى
النهر . وكانت الشوارع والطرق مزدحمة بالخلائق والبرد قارساً والجو
قاتماً على اني كنت اقطع السبيل غير شاعر بالوجود ولا بالبرد وقتام
ذلك الجو

غيبوبة اعترتني الى ان بلغت الجسر ونظرت الى النهر وشعرت كأن
برد مياهه قد جال في عروقي فافقت كما يفیق النائم وصحوت كما يصحو
السكران ... وكانت الامطار التي هطلت والثلوج التي ذابت تصب مياهها
في السين ذلك النهر الذي اعدته ضريحاً لي فزيد في تياره حتى بدا كأنه
قطعة من بحر وصارت مياهه تنحدر متماوجة يضغط بعضها بعضاً ويطفو
عليها الزبد كأنه على امواج متكسرة وقد صار لها صوت ليس بالهدير ولا
بالخرير . فوقفت لدى ذلك الكفن السائل البارد واخذت لأول مرة
افكر في ما اندست عليه وتصورت كيف ما بين طرفة عين وانتباهتها
اصبح كأنني لم اكن ثم لا تبكي علي عين صديق ولا يزور تربتي نسيب ...
وفكرت كيف لو مرضت عندهم كنتم تعودونني ولو مت بينكم كيف كنتم
تجاللون نعشي بالاكاليل وتسيرون ورأيي باكين آسفين . فوددت اني لا
امرض الا عندهم ولا اموت الا بين يديهم ولكن ما كل ما يتنى المرء
يدركه ...

وفي تلك الساعة شقت الشمس حجاب الزيم والقتام فنظرت واذا
بالناس في رواح ومجىء ورأيت فتاة كأنما اظلت الشمس من وراء حجابها
لتحييها وتبسم لها مستنده الى ذراع شيخ كلت السنون هامه بالبياض .

فلقي نظري نظرها وتقابل النظران طرفة عين ثم اغمضت عيني وحوّلت
بصري الى الماء كأنني استغيث به على ذلك الجمال الفاتن

وكنّنت كان صوت النهر يخاطبني قائلاً « تعال الي يا صاحب النفس
الحزينة والقلب الكسير... تعال ايها البائس من صفو العيش الاتانط من
عدل الايام الهارب من متاعب الحياة الراغب في الراحة الدائمة الملتمس
السكون والنسيان... تعال والى نفسك بين ذراعيّ فاني لا ارد احداً
ولا اصد ملتجئاً اليّ... تعال فكم محزون جاء قبلك وكم جاء بائس وقانطة
من شيوخ حنت ظهورهم المصائب وفتيان جرح الغرام قلوبهم وصبيان لعب
الجنون بالباهم فوجدوا في احضائي الراحة الدائمة راحة الموت والموت
احدى راحتين... »

عند ذلك مرت الائمة عن يميني فاصبحت كاني بين قوتين الموت
والحياة تتجاذبانني من اليمين واليسار فقلت بصوت غير خافض ولا مرتفع
وانالا اشعر «ربي ربي» قلتها بالايطالية وانا عربي وفي باريس ولا اعرف لماذا
واقمت ارقب خلو الجسر من المارة كي لا يراني احد عند ما اقذف بنفسي
الى النهر فيسعى في انقاذي

وبينا انا على تلك الحال لم اشعر الا وصوت كانه مناعاة طائر من
طيور الجنة يقول السلام ياسيدي... وكانت المسئلة تلك الائمة الحسناء
فاجفلت وقلت في ذاتي علام بدت تبعث الاسف في نفسي لثراق الحياة...
ثم بسمت في وجهها وكان ابتسامي ابتساماً حزيناً وقلت « وعليك ياسيدي
السلام ورحمة الله . فقالت « اسألك المعذرة لدخولي فيما لا يعنيني ولكن
ما وقوفك هنا » قلت « اليك ياسيدي عني يرحمك الله والحق بابيك »

فنفرت الفتاة لهذه الكلمة قائلة « ابي ... صدقت نعم صدقت انه ابي » ...
وانني عجبت لكلامها ثم قلت « اذا كنت قد اسأتك فاغفري لي » .
فقلت « لا صرح ياسيدي ولنعد الى موضوع حديثنا فما بغيتك من هذا
الموقف » . فلم ارد الجواب فنظرت الي نظرة بلغت الى اعماق نفسي وهزت
رأسها قائلة « ان ظني لم يخطيء موقعه ... وانا يا انسان فانت يائس من
الحياة وانا قانطة من السعادة فتعال نشترك بين اليأسين لعل احدنا يسلي
الآخر

ومدت يدها الي فوضعت فيها يدي ثم اخذت بذراعها ذراعي وسرنا
الى اقرب قهوة فجلست الى جانبي واخذت تحدثني وتقول « انني ايطالية
واسمي غراتزيلا وقد ولدت في جنوى وكبرت في باريس وكانت لي ام
احبها حتى العبادة فابتلاني الله بفراقها ودعاها اليه قبل ان أجاوز السابعة
عشرة من سني الصباء . وبعد ذلك بسنتين تزوجت لا مختارة ولا امرغمة
من رجل كل من رأني بصحبته حسبني ابنته فاقت معه منذ خمس سنوات
الى الان وانا كالنبات المنزوع في الارض الجافة تحرقه الشمس ولا يروى
بنقطة ماء

وعند ذلك رأيت بين جفنيها دموع تحاول ردها فتتفر بالرغم عنها
فادركت حينئذ ان هذه الزاهرة الناضرة التي لا تحييها الا حرارة الربيع قد
غرسست في ذلك الثلج القاتل ثلج شتاء الحياة وفهمت السبب الذي من اجله
نفرت عند ما قلت لها الحق بابيك وليس ذلك الاب الا زوجها وقرينها
ورفيق صباؤها فامتلات نفسي شفقة عليها ورحمة لشبابها الغض وللاربعة
وعشرين ربيعاً يضمها ويحيق بها السبعون شتاء ... ثم قالت .

« ولقد حاولت ان افتح فؤادي لحبه كما ينبغي للمرأة ان تحب زوجها فلم اصل الا الى حب الابنة لانيها وحل الاحترام اشيع وخته المسكلة بالبياض محل الحب في قلبي المتهب بدم الصباء . ومن ذا يلومني اذا رأيته وراه ولم يقرأ في فؤادي غير سطور الحب البنوي وكلمات الاحترام له

وما زلت اقطع الايام واحي الاليام راضية بما قسم الله لي غير مجترئة على ان اتخذ لي من شبان هذه الايام صديقاً اجد عنده شيئاً من الانعطاف ويرضى مني بالصدقة والولاء تاركاً لي ما أبى علي العفاف بذله سوى الذي وضعت يدي في يده واتخذت على نفسي ان ارعى حرمة واقيم على عهده الى ان تنطاق نفسي ونفسه من سجن الحياة

ولست اكنم عنك ان كثيرين يحيطون بي ولا هم لهم الا مغازاني وهم يتقربون الي بكل حيلة ووسيلة . لكنني اعرف ثمن صداقتهم ويبعدني عن ولائهم ما اراه من انحطاط نفوسهم وسفالة غاياتهم فانهم لا يحسبون ان صبية تستطيع ان تعيش مع زوج ضارب في السن وتبقى مرتدية رداء العفاف الجميل لذلك لم اتخذ الى الان صديقاً لنفسي اجد في ولائه لذة الحياة فان نفسي الشابة تأثقة الى موالاة شاب مثلها يشعر بمثل شعورها ويفهم حقيقة عواطفها واميالها . والحب بين نفسين لا بين جسدتين ولكن كم بين فتیان هذا العصر من يفهم هذا المعنى

ولما رأيتك عند الجسر وقابل نظري نظرك وسمتك تنادي ربك بالاطالية تحركت في فؤادي عاطفة كانت نائه فيه وقلت في نفسي هذا هو الصديق وهذه الضالة المنشودة . وفكرت في وقوفك على ذلك الجسر فقلت بألس مثلي وانفصلت عن زوجي وجئت أقدم اليك .

وانت غريب وانا غريبة وانت حزين النفس وانا كسيرة القلب فهل لك في
ان نكون رفيقين مخلصين نقطع سبل الحياة على صداقة وولاء وحب لا
تشوبه غاية سافلة ...

وكانت الفتاة تتكلم وانا مصغ اليها لا اقطع حديثها بجواب الى ان
انتهت من القول فاطلت النظر الى وجهها ثم تناولت يدها فتقبلها وقلت نعم
غريبان يا جارتى اننا وكل غريب نسيب الغريب
فضعي يدك في يدي واسندي ذراعك الى ذراعي والقي رأسك الجميل
على صدري معتمدة على ولاء ترافقه النزاهة وحب صنوه الاحترام
حينئذ بدت بين جفنيها دمعة وعلى شفتيها ابتسامة وقالت لست بأسفة
على ما مضى فلقد كفرت الايام عن كل اساءة سلفت .

ثم نهضنا فخرجنا واخلونا في مركبة الى ان اوصاتها الى منزلها فافترقنا
على موعد . ولما حان الموعد اقبلت تتهدى في ملابس سوداء وغلائل من
حرير وقد لفت القرو حول عنقها وفاحت منها رائحة ما شممت في حياتي
ازكى ولا الطف منها . فطوقت بساعديها عنقي وجعلت ذراعي سواراً
لخصرها وغاص نظري في نظرها وبينما ابسم لها وتبسم لي اكبت على حين
جفاء فتبأتني فلكيت شفتي شفتيها وامتزجت انفاسنا امتزاج روحينا ثم
سمعتها تقول حبيبي انت من قبل ان اراك والقالك ... وها هي الان الى
جانبي الى جهة القلب مني تنظر اليّ فالبسم لها وستحبنى واحبها الى ان
ينضب ماء الحياة في عروقنا ويقضي الله امراً كان مفعولاً . وفي الختام
اهدبك منها ومني ازكى تحية وسلام .

ابراهيم الخليل